

وكلما زاد الناس في الإلحاد زاد الله تعالى في المدد ، ففي أى بلد يُفتري فيها على الإيمان ويُظلم المؤمنون ، ويكثر الطغاة ! تجدد فيها بعض الناس منقطعين إلى الله تعالى ، لتفهم حقيقة القيم ، وحين تضيق الدنيا بالظلمة والظلمة تجدهم يذهبون إلى هؤلاء المنقطعين لله ، ويسألونهم أن يدعوا لهم . وقد ألزم الحق - سبحانه وتعالى - هنا نفسه بأن يُنجي المؤمنين في قوله سبحانه : ﴿ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠٣) .

ويقول الحق سبحانه وتعالى بعد ذلك :

﴿ قُلْ كَاتِبُهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠٤)

والشكُّ<sup>(١)</sup> معناه : وضع أمرين في كفتين متساويتين .

وهنا يأمر الحق سبحانه رسوله ﷺ بأن يعرض على الكافرين قضية الدين ، وأن يضعوها في كفة ، ويضعوا في الكفة المقابلة ما يؤمنون به . ويترك لهم الحكم في هذا الأمر .

هم - إذن - في شك : هل هذا الدين صحيح أم فاسد ؟

وعرض الرسول ﷺ لأمر الدين للحكم عليه ، يعني : أن أمر الدين ملحوظ أيضاً عند أى كافر ، وهو يتجه أحياناً إلى قيمة الدين .

(١) الشك : تقيض اليقين ، وجمعه : شكوك . قال تعالى : ﴿ قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفَى اللَّهِ شَيْءٌ فَأَخَذُوا الْمُسْلِمَاتِ وَالْأَخْرَجَ .. ﴾ (١٠٥) [إبراهيم] . [لسان العرب : مادة (ش ك ث) ] .

فإن كنتم في شك من الدين الذي أنزل على رسول الله ﷺ ، وهل يتصر الرسول ﷺ ومن معه عليهم ، أم تكون لهم الغلبة ؟

وحين يعرض الرسول ﷺ أمر الدين عليهم ، ويترك لهم الحكم ، فهذه ثقة منه ﷺ بأن نضايها دينه إن نظر إليها الإنسان ليحكم فيها ، فلا بد أن يلتجئ الإنسان إلى الإيمان .

ويحسم الحق سبحانه وتعالى أمر قضية الشرك به ، ويستمر أمره إلى الرسول ﷺ أن يقول :

﴿ فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ .. ﴾ (١٠١) [يونس]  
 أي : أنه ﷺ لا يمكن أن يعبد الشركاء وأن يعبد الله ؛ لأنه لن يعبد إلا الله ﴿ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ ﴾ (١٠١) .

ثم جاء سبحانه بالدليل الذي لا مرأه<sup>(١)</sup> فيه ، الدليل القوي ، وهو أن الحق سبحانه وتعالى وحده هو المستحق للعبادة ؛ لأنه ﴿ الَّذِي يَتَرَفَّأُكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> ، ولا يوجد من يقدر أو يتأبى على قدر الله سبحانه حين يُعبده .

وهنا قضيتان :

**الأولى :** قضية العبادة في قوله سبحانه : ﴿ فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَرَفَّأُكُمْ .. ﴾ (١٠١) [يونس]

(١) المراء ، والمارة ، والتماري ، والامترأه : الجبال والشك . قال تعالى : ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَنُفِقَ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (٣١) [الكهف] . وقال تعالى : ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾ (١٦) [النجم] . وكذلك المربة (يكسر لهم ، ويقسمها) ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ تَقْرَؤُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ .. ﴾ (٥٥) [الحج] [اللسان العرب : مادة (م و ي)] يتصرف .

(٢) يترفأكم : يميئكم ويقبض أرواحكم . وهو من ترفأه العبد ، أي : يقبض أرواحكم أجسمين ، فلا يقبض واحد منكم . ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ اللَّهُ يَتَرَفَّأُ الْإِنْسَانَ مِنْ مَوْتِهَا .. ﴾ (٥٢) [الزمر] أي : يستولي مُدَّةَ أجالهم في الدنيا . [اللسان : مادة (و ي)] .

## سُورَةُ الْكَافِرُونَ

٦٢٤٧

وكان لا بُدَّ أن يأتي أمر المالتين معاً : مسألة عدم عبادة الرسول لمن هم من دون الله ، ومسألة تخصيص الله تعالى وحده بالعبادة .

والفصل واضح بما يُحدِّد قطع العلاقات بين معسكر الإيمان ومعسكر الشرك ، كما أورده الحق سبحانه في قوله :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۚ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَتُمُّ عِبَادَتَكُمْ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَتُمُّ عِبَادَتِي مَّا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦) ﴾ [الكافرون]

والذين يقولون : إن في سورة (الكافرون) <sup>(١)</sup> تكراراً لا يلتفتون إلى أن هذا الأمر تأكيد لقطع العلاقات ؛ ليستمر هذا القطع في كل الزمن ، فهو ليس قطعاً مؤقتاً للعلاقات <sup>(٢)</sup> .

وهذا أول قطع للعلاقات في الإسلام ، بصورة حاسمة ليست فيها أية فرصة للتضام أو للمساومة ، ويظل كل معسكر على حاله .

(١) نزلت سورة الكافرون في وسط من قريش قالوا : يا محمد ، هلم اتبع ديننا وتبع دينك ، تعبد آلهمنا سنة وتعبد إلهك سنة ، فإن كان الذي جئت به غيراً مما بأيدينا قد شركتك فيه وأخذنا بحظنا منه ، وإن كان الذي بأيدينا غيراً مما في يديك قد شركت في أمرنا وأخذت بحظك ، فقال : معاذ الله أن أشرك به غيره . فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۚ ﴾ [الكافرون] ، فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة ، فأيسوا منه عند ذلك . [أسباب النزول - للواحدي ص ٢٦١] .

(٢) أقوال مفسري وعلماء سلفنا الصالح تلاقى كلها فيما قاله فضيلة الشيخ هنا . فقال البعض منهم البخاري وغيره أن المراد به ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ (١) و﴿ لَا أَتُمُّ عِبَادَتَكُمْ ﴾ (٢) و﴿ لَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴾ (٣) و﴿ لَا أَتُمُّ عِبَادَتِي مَّا أَعْبُدُ ﴾ (٤) في المستقبل . وقال البعض الآخر : إن هذا تأكيد محض . وهناك قول آخر نصره الإمام ابن تيمية ، وهو أن المراد بقوله : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ (١) [الكافرون] نفى الفعل لأنها جملة فعلية ﴿ لَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴾ (٢) [الكافرون] نفى قبوله لذلك بالكلية ؛ لأن النفي بالجملة الاسمية أكد ، فكانه نفى الفعل وكونه قبلاً لذلك ، ومعناه نفى النوع ، ونفى الإمكان الشرعي أيضاً . انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦١) .

يقول الحق سبحانه وتعالى في سورة النصر :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) ﴾ [النصر]

هنا يتأكد الأمر ، فبعد أن قطع الرسول ﷺ العلاقات مع معسكر الشرك ، جاء نصر الله سبحانه وتعالى وفتحته ، فهُرِّعَ الناس من معسكر الشرك إلى معسكر الإيمان <sup>(١)</sup> .

هم - إذن - الذين جاءوا إلى الإيمان . . . هذه هي القضية الأولى :

﴿ فَلَا تُعْبَدُ إِلَّا لَهُ الْعِبَادَةُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدْهُ (١-٤) ﴾ [يونس]

وهم كانوا يعبدون الأصنام المصنوعة من الحجارة .

وأنت إذا نظرت إلى الأجناس في الوجود ، فأكرمها هو الإنسان الذي سخر له الحق سبحانه بقية الأجناس لتكون في خدمته .

والجنس الأقل من الإنسان هو الحيوان .

ثم يأتي الجنس الأقل مرتبة من الإنسان والحيوان ، وهو النبات .

ثم يأتي الجسد كادنى الأجناس مرتبة ، وهم قد اتخذوا من أدنى الأجناس آلهة ، وهذه هي قمة الخيبة .

وتأتى القضية الثانية في قول الحق سبحانه وتعالى :

(١) كان بين سورتي «الكافرون» ، و«النصر» ما يزيد على ١٥ سنة ، فسورة الكافرون نزلت في بداية الدعوة ومحاوله فريش إنشاء رسول الله ﷺ عن الاستمرار في دعوته ، ثم حدثت المفاصلة ، ثم الهجرة ، ثم الغزوات ، إلى أن تم نصر الله بفتح مكة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، فكانت سورة النصر . وهذا يؤكد ما قاله فضيلة الشيخ من امتداد القطع مع معسكر الشرك ؛ ليكمل الزمن كله بالنسبة لقضية الإيمان ماضيا وحاضرا ومستقبلا .

## سُورَةُ يُوسُفَ

٦٢٤٩

﴿.. وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤)﴾ فإذا كان رسول الله ﷺ قد رفض العبادة لمن هم دون الله سبحانه ، فمعنى ذلك أنه لن يعبد سوى الله تعالى .

وليس هذا موقفاً سلبياً ، بل هو قمة الإيجاب ؛ لأن العبادة تقتضى استقبال منهج الله بأن يطيع أوامره ، ويجتنب نواهيه .

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك :

﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥)﴾

وما دام الخطاب موجهاً لرسول الله ﷺ ، فهو ككل خطاب من الحق سبحانه لرسوله ﷺ ، إنما ينطوي على الأمر لكل مؤمن .

وإذا ما عبد المؤمن الله سبحانه فهو يستقبل أحكامه ؛ ولذلك يأتى الأمر هنا بالآلة يلتفت وجه الإنسان المؤمن إلى غير الله تعالى ، فيقول الحق سبحانه :

﴿اقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا.. (١٠٥)﴾ [يونس]

فلا يلتفت فى العبادة يميناً أو يساراً ، فما دام المؤمن يعبد الله ولا يعبد غيره ، فليعلم المؤمن أن هناك - أيضاً - شركاً خفياً<sup>(١)</sup> ، كأن يعبد الإنسان من هم أقوى أو أغنى منه ، وغير ذلك من الأشخاص التى يفتن بها الإنسان .

(١) حنيفاً : مائلاً عن كل طرق ومناهج الضلال ، إلى طريق الحق وحده .

(٢) الشرك الخفى : هو الرياء وطلب السمعة والصيت . فعن شداد بن أوس قال قال الله ﷻ : «إن أحوف ما أتخوف على أمتي الإشراف بالله . أما لئى لست أقول : يعبدون شمساً ولا قمرأ ولا وثناً . ولكن أعمالاً لغير الله ، وشهوة خفية» أخرجه ابن ماجه فى سننه (٤٢٠٥) .

ونحن عرفنا من قبل قول الحق سبحانه :

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا<sup>(١)</sup> مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ<sup>(٢)</sup>

إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا<sup>(٣)</sup>...﴾ (٦٢٥) [النساء]

والحنف<sup>(١)</sup> أصله ميل في الساق ، وتجد البعض من الناس حين يسرون تظهر سيفانهم متباعدة ، وأقدامهم ملتصقة ، هذا اعرجاج في التكوين .

أما المقصود هنا بكلمة (حنيفاً) أى : معوج عن الطريق المصوج = أى : أنه يسير بامتقاة .

ولكن : لماذا يأتى مثل هذا التعبير ؟

لأن الدين لا يجرى برسول جديد ومعجزة جديدة ، إلا إذا كان الفساد قد عمَّ ، فيأتى الدين ؛ ليدعو الناس إلى الميل عن هذا الفساد . وفى هذا اعتدال لسلوك الأفراد والمجتمع .

ويحذرنا رسول الله ﷺ من أن نقع فى الشرك الحقيقى بعد الإيمان بالله تعالى .

(١) الدين : الطاعة والالتزام والشرعية والجزاء ، والعقيدة والمنهج والصراف العظيم فى القاموس القومى - باختصار ص ٢٢٩ .

(٢) الملة (بكسر الميم ، وتضمين اللام) : الشريعة ، والدين . قال تعالى : ﴿... إِنِّي نَزَّحْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يَزِيدُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَاغُرُونَ﴾ (٣٧) [يوسف] . وقال تعالى : ﴿... مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ ...﴾ (٦٢٥) [الحج] . [لسان العرب : مادة : م ل ل] . - بتصرف .

(٣) الحنيف فى القدمين : إقبال كل واحدة منهما على الأخرى بإيهامها . ورجل أحنف ، وامرأة حنفاء ، وبه سُمى «الأحنف بن نيس» ، واسمه «صخر» ؛ أحنف كان فى رجله . قال الجوهري : الحنف : الاموجاج فى الرجل . وقال أبو عمرو : الحنيف هو المائل من خير إلى شر ، أو من شر إلى خير . وحنف عن الشيء وحنف : مال . والحنيف : المسلم الذى يتحنف عن الأديان ، أى : يسيل إلى الحق ، وقيل : هو الذى يستقبل قبلة البيت الحرام على ملة إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، قال تعالى : ﴿... مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ...﴾ (١٢٥) [آل عمران] . وقيل : الحنيف هو الذى يسيل عن الضلال ، ويبعد عنه ليتجه إلى الحق ، وقد صارت هذه الكلمة علماً على المسلمين . [لسان العرب : مادة (ح ن ف) - بتصرف] .

ويأتى الكلام عن هذا الشرك الثانى فى قول الحق سبحانه :

﴿...وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٥)﴾ [يونس]

وهذا الشرك الثانى هو أقل مرحلة من شرك العبادة ، ولكن أن نجعل لإنسان أو لآى شىء مع الله عملاً .

فإن رأيت - مثلاً - للطبيب أو للدواء عملاً ، قَتَلْ لنفسك : إن الطبيب هو مَنْ يصف الدواء كعلاج ، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذى يشفى ، بدليل أن الطبيب قد يخطئ مرة ، ويأمر بدواء تحدث منه مضاعفات ضارة للمريض .

وعلى المؤمن ألا يُفْتَنَ فى أى سبب من الأسباب .

ونذكر مثالا آخر لذلك ، وهو أن بلداً من البلاد ذات الرقعة الزراعية المتسعة أعلنت فى أحد الأعوام أنها زرعت مساحة كبيرة من الأراضى بالقمح بما يكفى كل سكان الكرة الأرضية ، ونبتت السنابل وأينعت ، ثم جاءتها ريح عاصف أفسدت محصول القمح ، قاضطرت تلك الدولة أن تستورد قمحها من دول أخرى .

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك :

﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ (١٦)﴾

والمشرك من هؤلاء لحظة أن عبدَ الصنم ودعا من دون الله تعالى ، فهل استجاب له ؟ وحين عبده هل قال الصنم له : افعل كذا ، ولا تفعل كذا ؟ إن الأصنام التى اتخذها المشركون آلهة لم يكن لها منهج ، ولا أحد منها

يتنفع أو يضر ، وحين يجيء النفع لا يعرف الصنم كيف يمنعه ، وحين يجيء الضر لا يقدر الصنم أن يدفعه .

إذن : فمن يدعو من دون الله - سبحانه وتعالى - هو دعاء لمن لا يتنفع ولا يضر .

ومن يفعل ذلك يكون من الظالمين ؛ لأن الظلم هو إعطاء حق لغير ذي حق ، سواء أكان في القصة ، أو في غير القصة<sup>(١)</sup> .

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك :

﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ  
وَلَئِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ  
مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ١٠٧ ﴾

هذا كلام الربوبية المستغنية عن الخلق ، فאלله سبحانه وتعالى خلق الناس ، ودعاهم إلى الإيمان به ، وأن يحبوه ؛ لأنه يحبهم ، ويعطيهم ، ولا يأخذ منهم ؛ لأنه في غنى عن كل خلقه .

ويأتي الكلام عن الضر هنا باللسان ، ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ .. ﴾ (١٠٧) [يونس]

ونحن نعلم أن هناك «مساء» و«مساء» و«إصابة» .

وقوله سبحانه هنا عن الضر يشير إلى مجرد المس ، أي : الضر البسيط ، ولا تقل : إن الضر ما دام صغيراً فالخلق يقدرون عليه ، فلا أحد

(١) أي : سواء كان ظلماً في القصة - أي : بالإشراك بالله - أو ظلماً في غير القصة بظلم العباد بأخذ حقوقهم والتعدي عليهم .



يقدر على الضر أو النفع ، قلّ الضر أم كَبُرَ ، وكَثُرَ النفع أو قَلَّ ، إلا ياذن من الله تعالى .

والحق سبحانه وتعالى يذكر الضر هنا بالمس ، أي : أهون الالتصاقات ، ولا يكشفه إلا الله سبحانه وتعالى .

ومن عظمته - جلّ وعلا - أنه ذكر مع المس بالضر ، الكشف عنه ، وهذه هي الرحمة .

ثم يأتي سبحانه بالمقابل ، وهو «الخير» ، وحين يتحدث عنه الحق سبحانه ، يؤكد أنه لا يردّه .

ونحن نجد كلمة «يُصِيبُ» في وصف مجيء الخير للإنسان ، فالحق سبحانه يصيب به من يشاء من عباده .

ويُنهي الحق سبحانه وتعالى الآية بهذه النهاية الحميلة في قوله تعالى :

﴿ .. وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٠٧)

[يونس]

وهكذا تتضح لنا صورة جلال الخير المتجلى على العباد ، ففي الشر جاء به مساً ، ويكشفه ، وفي الخير يصيب به العباد ، ولا يمنعه .

والله تعالى هو الغفور الرحيم ، لأنه سبحانه لو عامل الناس - حتى المؤمنين منهم - بما يفعلون لعاقبهم ، ولكنه سبحانه غفور رحيم ؛ لأن رحمته سبقت غضبه <sup>(١)</sup> ، ولذلك نحمد سبحانه في آيات النعمة يقول :

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا <sup>(٢)</sup> .. ﴾ (١٨)

[التحل]

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : فلما قضى الله الخلق كتب في كتابه ، فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي غلبت غضبي . أخرجه البخاري في صحيحه (٣١٤٤) ومسلم (٢٧٥١) .

(٢) الإحصاء : العدد والحصص .

وجاء الحق سبحانه بالشك ، فقال ﴿إِنْ﴾ ولم يقل : «إذا تعدون نعمة الله» ؛ لأن هذا أمر لن يحدث ، كما أن الإقبال على العَدُّ هو مظنة أنه يمكن أن يحصى ؛ فقد تُعدُّ النفود ، وقد يُعدُّ الناظر طلاب المدرسة ، لكن أحداً لا يستطيع أن يُعدَّ أو يحصى حَبَّات الرمال مثلاً .

وقال الحق سبحانه وتعالى :

﴿وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا.. (١٨)﴾ [النحل]

وهذا شك في أن تعدوا نعمة الله .

ومن العجيب أن العَدَّ يقتضي التجمع ، والجمع لأشياء كثيرة ، ولكنه سبحانه جاء هنا بكلمة مفردة هي ﴿نِعْمَةٌ﴾ ولم يقل : «نعم» فكان كل نعمة واحدة مطمور فيها نعمٌ ثنى .

إذن : فلن نستطيع أن نعدَّ النعم المطمورة في نعمة واحدة .

وجاء الحق سبحانه بذكر عَدَّ النعم في آيتين :

الآية الأولى تقول :

﴿..وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ<sup>(١)</sup> (٢٤)﴾

[إبراهيم]

والآية الثانية تقول :

﴿وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨)﴾ [النحل]

(١) ظُلوم : صيغة مبالغة من «الظلم» ، أى : كثير الظلم لنفسه أو لغيره ، أو لهما معاً . وكفَّار : صيغة مبالغة من «الكفر» ، أى : شديد الكفر ، والكفر فى اللغة : السرّ من سرّ الشئ إذا أخفاه . فكان الإنسان يعلم شكر الله على النعمة يكون قد كفرها . أى : سرّها وأخفّاها ولم يؤدّ حقها من الذكر والشكر .



﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفُّمُ الْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ  
فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا  
يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (١٠٨)

إذن : فالخلق سبحانه لم يُقَصِّرْ مع الخلق ، فقد خلق لكم العقول ، وكان يكفي أن تفكروا بها لتؤمنوا من غير مجيء رسول ، وكان على هذه العقول أن تفكر في القوى الذي خلق الكون كله ، بل هي التي تسعى لتطلب أن يرسل لها القوى رسولا بما يطلبه سبحانه من عباده ، فإذا ما جاء رسول ليخبرهم أنه رسول من الله ويحمل البلاغ منه ، كان يجب أن تستشرف أذانهم لما يقول .

إذن : كان على العباد أن يهتدوا بعقولهم ؛ ولذلك نجد أن الفلاسفة حين بحثوا عن المعرفة ، قالوا : إن هناك «فلسفة مادية» تحاول أن تتعرف على مادية الكون ، وهناك «فلسفة ميتافيزيقية»<sup>(١)</sup> تبحث عما وراء المادة .

فَمَنْ أَعْلَمَ الْفَلَسَافَةَ - إذن - أن هناك شيئا وراء المادة .

وكان العقل المجرد ساعة يرى نُظُم الكون الدقيقة كان يجب أن يقول : إن وراء الكون الواضح المُحَسَّ قوة خفية .

ولم يذهب الفلاسفة إلى البحث فيما وراء المادة ، إلا لأنهم أخذوا من

(١) الوكيل : الكفيل الموكل بأرزاق الناس وأمورهم ، والحفيظ الذي يحفظ أعمال الناس . قال سبحانه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (١٥٧) [الأنعام] ، وقد نفى الله سبحانه هذا عن نبيه ورسوله محمد ﷺ .

(٢) الفلسفة : لفظ يوناني ومعناه البحث عن الحقيقة ، والميتافيزيقا : ما وراء الطبيعة والكون . أي : الغيبيات التي لا تخضع لقوانين المادة .

المادة أن وراءها شيئاً مستوراً.

والمستور الذي وراء المادة هو الذي يعلن عن نفسه ، فهو أمر لا نعرفه بالعقل .

وقديماً ضربنا مثلاً في ذلك ، وقلنا : هباً أننا جالسون في حجرة ، ودقّ جرس الباب ، فعلم كل من في الحجرة أن طارقاً بالباب ، ولم يختلف أحد منهم على تلك الحقيقة .

وهذا ما قاله الفلاسفة حين أقبروا بوجود قوة وراء المادة ، ولكنهم تجاوزوا مهمتهم ، وأرادوا أن يُعرفونا ماهية أو حقيقة هذه القوة ، ولم يلتفتوا إلى الحقيقة البديهية التي تؤكد أن هذه القوة لا يمكن أن تُعرف بالعقل ؛ لأننا ما دُمنا قد عرفنا أن بالباب طارقاً يدق ؛ فنحن لا نقول من هو ، ولا نترك المسألة للظن ، بل نتركه هو الذي يحدد لنا مَنْ هو ، وماذا يطلب ؟ لأن عليه هو أن يخبر عن نفسه .

اطلبوا منه أن يعلن عن اسمه وصفاته ، وهذه مسائل لا يمكن أن نعرفها بالعقل .

إذن : فخطأ الفلاسفة أنهم لم يقفوا عند تعقّل أن هناك قوة من وراء المادة ، وأرادوا أن يتقللوا من التعقّل إلى التصور ، والنصورات لا تأتي بالعقل ، بل بالإخبار .

وهنا يقول الحق سبحانه :

﴿ قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ ۞ (١٥٦) ﴾ [يونس]

والحق - كما نعلم - هو الشيء الثابت الذي لا يتغير أبداً ، وأن يأتي

الحق من الرب الذي يتولى التربية بعد أن خلق من عدم وأمد من عدم<sup>(١)</sup> ، ولا يكلفنا بتكاليف الإيمان إلا بعد البلوغ ، وخلق الكون كله ، وجعلنا خلقاء فيه .

هو - إذن - مأمون علينا ، فإذا جاء الحق منه سبحانه وتعالى ، فلماذا لا نجعل المنهج من ضمن التربية ؟

لماذا أخذنا تربية المأكّل والملبس وسيادة الأجناس ؟

كان يجب - إذن - أن نأخذ من المربي - سبحانه وتعالى - المنهج الذي ندير به حركة الحياة ؟ فلا نقسدها .

وحين يقول الحق سبحانه :

﴿ جَاءَكُمْ الْحَقُّ<sup>(٢)</sup> مِنْ رَبِّكُمْ . ﴾ (١٠٨)

[يونس]

فمعنى ذلك أنه لا عذر لأحد أن يقول : «لم يُبلّغني أحدٌ بمراد الله » ، فقد ترك الحق سبحانه العقول لتتعقل ، لا أن تتصور .

وجاء التصور للبلاغ عن الله تعالى ، حين أرسل الحق سبحانه رسولا يقول : أنا رسول من الله ، وهو القوة التي خلقت الكون ، وكان علينا أن نقول للرسول بعد أن تصدّق معجزته : أهلاً ، فأنت من كنا نبحت عنه ، فقل لنا : ماذا تريد القوة العليا أن تبلغنا به ؟

ثم يقول الحق سبحانه في نفس الآية :

(١) التَّدْم والتَّدْم : فقدان الشيء . ونمايه . وسطه في ضبط حروف الكلمة : الرَّشْد والرَّشْد - الحُرْن والحُرْن . وسطه قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ لِي فِي الْقَبْرِ قَدْ تَبَيَّنَ الرَّشْدُ مِنْ الْغَيِّ . ﴾ (١٠٦) . [البقرة] . وقوله تعالى : ﴿ .. وَهَذَا آتٍ مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ .. ﴾ (١٠٧) . [الكهف] .

(٢) الحق : الأمر الثابت عند الباطل ، والحق من أسماء الله الحسنى ، والحق القرآن ، والحق العدل والصدق والحكمة والبحث وكمال الأمر . والحق الواقع الثابت الذي لا خلاف فيه ، قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّهِ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٠٨) . [يونس] ، والحق ما وجب عليك لغيرك [القاموس القويم بنصرف ص ١٦٤ ، ١٦٥] .

## سُورَةُ يُوسُفَ

٦٢٥٩

﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ..﴾ (١٠٨) [يونس]

لأن حصيله هدايته لا تعود على مَنْ خلقه وهداه ، بل تعود عليه هو نفسه انجماً مع الكون ، وإصلاحاً للذات النفس ، وراحة بال ، واطمئناناً ، وانتباهاً لتعمير الكون بما لا يفسد فيه ، وهذا الحال عكس ما يعيشه مَنْ ضل عن الهداية .

ويقول الحق سبحانه عن هذا الصنف من الناس :

﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا..﴾ (١٠٨) [يونس]

وكلمة ﴿ضل﴾ تدل على أن الإنسان الذي يضل كانت به يداية هداية ، لكنه ضل عنها .

ويُنهى الحق سبحانه الآية بقوله : ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٨) [يونس]

وأنت لا توكل إنساناً إلا لأن وفك لا يسع ، وكذلك قدرتك وعلمك وحركتك ، وهنا يُبلغ الرسول القوم : أنا لا أقدر أن أدفع عنكم الضلال ، أو أجبركم على الهداية ، لأنى لست وكيلاً عليكم ، بل على نقط مهمة البلاغ<sup>(١)</sup> عن الله سبحانه وتعالى ، وهذا البلاغ إن استمعتم إليه بخلاء القلب من غيره ، تهتدوا .

وإذا اهتديتم ؟ فالخير لكم ؟ لأن الجزاء سيكون خلوداً فى نعيم تأخذونه مقابل تطبيق المنهج الذى ضيق على شهوات النفس ، ولكنه يهدى حياة نعيم لا يفوته الإنسان ، ولا تفوت النعم فيه الإنسان .

(١) وقد ورد تأكيد هذا على آيات كثيرة من القرآن الكريم ومنه قوله تعالى : ﴿فَإِنْ أَمْرُنَا لَنَا أَرْسَالُكَ عَلَيْهِمْ

خَفِيفٌ إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ..﴾ [الشورى] . وقال تعالى : ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٥٤)

[النور] . فكل المطلوب من الرسول هو إبلاغ رسالته ، وأن يكون هذا البلاغ مبيناً جليلاً واضحاً .

وإذا كان الإنسان منا يقبل أن يتعب ، ليتعلم حرفة أو عملاً أو صنعة أو مهنة ؛ ليكسب الإنسان من إتقان هذا العمل بقية عمره .

أليس على هذا الإنسان أن يُقبل على العبادة التي تصلح به ، وتسرع به إلى الغاية انسجاماً مع النفس ، ومع المجتمع ، وتقويماً وتهذيباً لشهوات النفس ، وينال من بعد ذلك خلود النعيم في الآخرة .

أما من يستكثر على نفسه الجِدُّ والاجتهاد في تحصيل العلم ، أو تعلم مهنة أو حرفة ؛ فهو يحيا في ضيق وعلم ارتقاء ، فهو لا يبذل جهداً في التعلم .

ونرى من يتعلم ويبذل الجهد ، وهو يرتقى في المستوى الاجتماعي والاقتصادي ؛ ليصل إلى درجة الدكتوراة - مثلاً - أو التخصص الدقيق الذي يأتي له بسعة الرزق .

وكلما كانت الثمرة التي يريدتها الإنسان أبعث وأطول عمراً كانت الخدمة من أجلها أطول .

وقارن بين خدمتك لدينك في الدنيا بما يتظرك من نعيم الآخرة ؛ وسرف تجد المسافة بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة شاسعاً ، ولا مقارنة .

وقول الحق سبحانه :

﴿ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ ﴾ (١٠٨)

[يونس]

(١) لينع : أكثر تضجاً . والبُخ : النضج . ومنه قوله تعالى : ﴿ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَرَيْبِهِ ﴾ (١٠٨) [الأنعام] .

(٢) ضلَّ الكافر : غاب عن الحق المقنع ، وعدل عن الطريق المستقيم ، ولم يعرف الحق . والغلال : النسيان والضياع . وضلَّ الشيء : خفى وغاب فهو فعل لازم ، وضلَّ المسافر الطريق مُتَمَدُّ : لم يعرفه . [قاموس القويم ص ٣٩١ - بتصرف] .



تجد فيه كلمة ﴿عَلَيْهَا﴾ وهي تفيد الاستعلاء على النفس ، أى: أنك بالضلal - والعياذ بالله - تستعلى على نفسك ، وتركب رأسك إلى الهاوية .

وفي المقابل تجد قول الحق سبحانه:

﴿فَمِنْ أَعْدَائِي فَإِنَّا بَعْدِي لَكُمْ﴾ .. (١٠٨) ﴿يونس﴾

وتجده «اللام» هنا تثبيد الملك ، لذلك يقال : «فلان له» و«فلان عليه».

وبعد ذلك يقول الحق سبحانه في ختام سورة يونس :

وَاتَّبِعْ مَا يُرْسِلُ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّى يَخُفُّكَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ  
الْمُخَفِّينَ ﴿١٦﴾

وإذا كان الحق سبحانه قد أورد على لسان رسوله ﷺ : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (١-٨) ﴿

فهذا يعنى البلاغ بمنهج الله - تعالى - النظرى ، ولا بُدَّ أن يثق الناس فى المنهج ، بأن يكون الرسول هو أول المتفكرين بالمنهج ، لأنه - معاذ الله - لو غشَّ الناس جميعاً لما غشَّ نفسه .

إذن: فيبعد البلاغ<sup>١١</sup> عن الحق سبحانه ، وتعرف الناس بأن الهداية

(١) البلاغ : اسم مصدر بمعنى الكفاية أو الإيلاء أو التبليغ . قال تعالى : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ﴾ [إبراهيم] وقال تعالى : ﴿ إِنِّي فِي هَذَا بَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء] أي : فيما ذكر من الأخبار والمواظ.

و يبلغ الشيء : حذو ونهايته التي يصل إليها ، أو مقدار الذي يتصل به . قال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ مَقْلُوبُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ .. ﴾ (٢٢) ﴿ النجم ﴾ [للمقاموس القويم - بصرف ١ / ٨٢ ، ٨٢] .

لا يعود نفعها على الحق ، بل هي للإنسان ، فيملك نفسه ؛ ويملك زمام حياته ، فيسير براحة البال في الدنيا إلى نعيم الآخرة ، وأن الضلال لا يعود إلا باستعلاء الإنسان على نفسه ؛ ليركبها إلى موارد التهلكة .

والرسول ﷺ ليس وكيلاً عنكم ، يأتيكم بالخير حين لا تعملون خيراً ، ولا يصرف عنكم الشر وأنتم تعملون ما يستوجب الشر .

ولذلك كان على رسول الله ﷺ أن يكون هو النموذج والأسوة :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ <sup>(١)</sup> وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا <sup>(٢)</sup> 》

[الأحزاب]

وهنا يقول الحق سبحانه :

﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ .. <sup>(٣)</sup> 》

[يونس]

أى : عليك أن تكون الأسوة ، وحين تتبع ما يوحى إليك ؛ ستجد عقبات ممن يعيشون على الفساد ؛ ولا يرضيهم أن يوجد الإصلاح ، فوطن العزم على أن تتبع ما يوحى إليك ، وأن تصبر .

(١) الأسوة : القدوة ، والمثل الأعلى الذى يقتدى به . ورسول الله ﷺ هو أسوتنا وقلوبنا . وقد قال سبحانه عن إبراهيم عليه السلام أيضاً : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ .. <sup>(٤)</sup> 》 [الممتحنة] ثم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ .. <sup>(٥)</sup> 》 [الممتحنة] .

(٢) ورد الرجاء في القرآن على معان عدة :

- منها : الطلب والأمل فى تحقق شيء ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ .. <sup>(٦)</sup> 》

[البقرة] . وقوله تعالى : ﴿ وَأَقْرَبُهُم مِّنَ النَّسَاءِ اللَّائِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا .. <sup>(٧)</sup> 》 [النور] .

- منها : الخوف ، مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِمَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ <sup>(٨)</sup> 》 أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ <sup>(٩)</sup> 》 [يونس] .

## سُورَةُ يُوسُفَ



ومجىء الأمر بالصبر دليل على أن هناك عقبات كثيرة ، وعليك أن  
تصبر وتعطى النموذج لعيرك<sup>(١)</sup> ، والثقة في أنه لو لم يكن هناك خير في  
اتباع المنهج لما صبرت عليه ؛ حتى يأتي حكم الله ﴿... وَأَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ  
اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (١٠٩) ﴿

[يونس]

وليس هناك أعذل ولا أحكم من الله سبحانه وتعالى .

وهذه السورة التي تُحْتَمُّ بهذه الآية الكريمة ، تعرضت لقضية الإيمان  
بالله ، قمة في عقيدة لإله واحد يجب أن تأخذ البلاغ منه سبحانه ؛ لأنه  
الرب الذي خلق من عَدَم ، وأمدَّ من عَدَم ، ولم يكلِّفنا إلا بعد مرور  
سنوات الطفولة وإلى البلوغ ؛ حتى يتأكد أن المكلف يستحق أن يُكَلَّف  
بعد أن انتفع بخيرات الوجود كله ، وثبتت من صدق الربوبية .

ومعنى الربوبية هو التريية ، وأن يتولى الربُّ الربُّ إلى أن يبلغ حدَّ  
الكمال المرجوَّ منه .

وقد صلت هذه القضية في الكون .

إذن : نستمع إلى الرب - سبحانه وتعالى - الذي خلق ، حين يُبَيِّن لنا  
مهمتنا في الحياة بمنهج تستقيم به حركة الحياة ، ويستقيم أمر الإنسان مع  
الغاية التي يعرفها قبل أن يخطو أي خطوة .

ومن المحال أن يخلق الله - سبحانه وتعالى - للخلق ثم يُضَيِّعه ، بل  
لا بد أن يضع له قانون صيانة نفسه<sup>(٢)</sup> ؛ لأن كل صنعة إنما يضع قانونها

(١) يقول سبحانه : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا آلُكَ الْكَرِيمُونَ﴾ (١٠٩) [الأحقاف] . فالصبر هو التمسك بالرسالة  
والإيمان ، الذين صبروا على إنشاء أقدارهم صبرا تميزت عنه قدرات البشر ، مثل : نوح وموسى وإبراهيم  
ومحمد ﷺ .

(٢) يقول تعالى : ﴿لَا تُخْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَذَكَّرَ لَكُمْ﴾ [القيامة] . قال ابن كثير في تفسيره  
(١٥٢/١) : «الآية تُشَمُّ الحالين ، أي : ليس يترك في هذه الدنيا مهملًا لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يترك في  
غيره سدى لا يعش ، بل هو مأمور عنهم في الدنيا ، محشور إلى الله في الدار الآخرة» .

ويحدد الغاية لها مَنْ صنعها ، فإذا ما خالفنا ذلك نكون قد أحلّنا <sup>(١)</sup> وغيرنا الأمور ، وأدخلنا العالم في متاهات ، وصار لكل امرئ غاية ، ولكل امرئ منهج ، ولكل عقل فكر ، ولصار الكون متضارباً ؛ لأن الأهواء ستتضارب ، فتضعف قوة الأفراد ؛ لأن الصراع بين الأنداد <sup>(٢)</sup> يُضعف قوة الفرد عن معالجة الأمر الذي يجب أن يعالجه .

فأراد الله - سبحانه وتعالى - توحيداً <sup>(٣)</sup> في العقيدة ، وتوحيداً في المنهج .

وأراد الحق سبحانه وتعالى أن يضرب لنا مثلاً تطبيقياً في مواكب الرسالات ، فلذكر لنا في هذه السورة قصة نوح - عليه السلام - وقصة موسى وهارون - عليهما السلام - وذكر بينهما القصص الأخرى .

ثم ذكر قضية يونس عليه السلام .

ثم ختم السورة بقوله سبحانه :

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ..﴾ (١٠٩)

[يونس]

بلاغاً عن الله تعالى .

وما دُمْتَ تَبْلُغُ ، وأمتك أمة محسوبة - إلى قيام الساعة - أنها وارثة

(١) أحلنا الأسور : سوكناها وبدلناها لغير ما وضعت له . وفي اللسان : كل شيء تغير عن الاستواء إلى العوج فقد حال واستحال . ويقال : حال الرجل يحول مثل تحوّل من موضع إلى موضع . (مادة : حوّل) .

(٢) الأنداد : الأمثال والنظراء .

(٣) الرسالات في جوهرها تسير بالتوحيد وعليه وبه ، يقول الحق سبحانه : ﴿لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا رُحِيَ بِهِ تُرْجَىٰ وَأَلْغَىٰ لَكُمْ مَا رُحِيَ بِهِ يُرَاجَعُونَ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مَدِينٍ﴾ (١٠٩) . [الشورى] .

النبوة . ولم تُعَدْ هناك نبوة بعدك يا محمد ﷺ تسليحاً كثيراً .

وآراد الحق سبحانه لأمتك أن يحملوا الدعوة للمنهج الذي نزل إليك .

إذن : فرسول الله ﷺ سيكون شهيداً بأنه قد بلغ ، ويجب أن تكون أمة شهيدة بأنها بلغت ، وأوصلت رسالة الله إلى الدنيا <sup>(١)</sup> ، وهذا شرف مهمة أمة محمد ﷺ .

ولم يكن لأمة غيرها مثل هذا الشرف ؛ فقد كان الأمر قبل رسول الله ﷺ أن دعوة أي رسول تقبّر ، وتبهدت تكاليفه <sup>(٢)</sup> ، ويغفل عنها الناس ، فيرسل الله - سبحانه وتعالى - رسولاً ، ولكن الأمر اختلف بعد رسالة محمد عليه الصلاة والسلام . فلم تُعَدْ هناك نبوة ، ولا رسالة ، ولكن صار هناك مَنْ يحملون منهج الله تعالى .

والرسول ﷺ هو الأسوة ؟ لأنه مبلغ منهج الله ، وهو أسوة في تطبيق قانون صيانة الإنسان وحركته ، وغرّج تطبيقه حتى لا يكلف الناس فوق ما تطيقه إنسانيتهم ؛ ولذلك كان يُصر على أنه بشر ، وأوضح القرآن الكريم ذلك بلا أدنى غموض :

﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ .. ﴾ (٦)

[فصلت]

(١) يقول رب العزة سبحانه وتعالى : ﴿ وَتِلْكَ جَنَّاتُكُمْ لَعَنَّا وَنَحْنُ لَنُكْفِرُا عَنْهُمْ فِي أَنْفُسِهِمُ الرَّسُولُ عَلَيْهِمْ سُبْحَاتُ ۖ ﴾ [البقرة] . وقال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا لِي اللَّهِ حَتَّىٰ يَجْهَدَ عَنْ أَجْنِبَاتِكُمْ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ فَلَا رِبَا عَلَيْكُمْ إِذَا اقْتَضَىٰ الْفُسُقَىٰ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۖ ﴾ [الحج] .

(٢) أي : يطول عليهم الزمن فتُنسى رسالة الرسول . ويقع فيها التحريف والتبديل والتغيير ، وقد حدث أكثر هذا مع بني إسرائيل .

ليؤكد صدق الأسوة ؛ لأنه ﷺ لو لم يكن بشراً وطلب من الناس أن يفعلوا مثله لقالوا: لن نستطيع لأنك لست مثلنا.

ولذلك نلاحظ أن القرآن يؤكد على بشرية رسول الله ﷺ ، ولكنه ﷺ يزيد عن البشر بإصطفاء الله سبحانه له ؛ ليكون رسولاً يُوحى إليه ، فمهمته الرسالية الأولى أن يُبلغ هذا الوحي ، والمهمة الثانية أن يؤكد بسلوكه أنه مقتنع بهذا الوحي ويُطبقه على نفسه.

ويقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٧١) [الأحزاب]

وكان رسول الله ﷺ من ناحية الثراء أقل الناس مالاً ، وهو غير متكبر ، ولا جبار ، وهو كنموذج سلوكي تتوازن فيه وبه كل الفضائل ؛ فلم يطلب لنفسه شيئاً ، بل إنه منع أقاربه وأهله من حقوق أفرها لغيرهم من المسلمين ، فأقاربه لم يُعطهم الحق في أن يرثوا شيئاً مما يملكه بعد وفاته وقد حرمهم ؛ ليكون كل عمل صادر منه ﷺ أو ممن يتسبون بالقربة إليه هو عمل خالص لوجه الله تعالى .

وهذا السلوك هو عكس سلوك الرئاسات البشرية ، أو السلطات الزمنية ؛ فهذه الرئاسات أو تلك السلطات تفيض أول ما تفيض على نفسها بالخير ، ثم تفيضه على الدوائر القريبة منها حسب أقطار القرب ؛ فالقريب جداً يأخذ أولاً وكثيراً ، ومن يبعد في القرابة يأخذ الأقل حسب درجة بعده .

(١) الأسوة والإسوة: القدوة . ويقال: اتسب به ، أي: اقتد به وتكون مثله . قال الليث: فلان ياتسب بفلان ، أي: يرضى لنفسه ما يرضيه ويفتدى به . وقال الهروي: اتسب به: اتبع فعله واقتدى به . [لسان العرب: مادة (أ س ا)].

## سُورَةُ التَّوْبَةِ



لكن الذى فى دائرة القرابة مع رسول الله ﷺ لا يأخذ حتى ما يأخذه  
الفقير فى أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، وكان الله سبحانه وتعالى يدلنا  
بذلك على أنه من العيب أن يكون الإنسان منشوياً لآل بيت النبوة ، ويكون  
موضعاً لأخذ الزكاة .

إذن : فالاتباع الذى أمر الله تعالى به ، هو اتباع الروحى بلاغاً ، واتباع  
ما يوحى به تطبيقاً ، وسيطلب هذا مواجهة متاعب كثيرة ، وسيلقى  
عقبات من الجبابرة المتشغين بالفساد فى الأرض ، فلا بد أن يصادموا هذه  
الدعوات ، ليحافظوا على سلطتهم الزمنية ، فيأمر الحق سبحانه وتعالى  
رسوله ﷺ بأن يصبر ، وفى الأمر بالصبر إشارة إلى أن الرسول ﷺ مقبل  
على عتبات قلبيعة نفسه لتحمل هذه العقبات بالصبر<sup>(١)</sup> .

وفى آية أخرى يأمره الحق سبحانه وتعالى أن يصبر ويصابر هو  
والمؤمنون . . يقول سبحانه :

﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾<sup>(٢)</sup> .. (٢٠٠)

[آل عمران]

أى : إن صبرت ، فقد يصبر خصمك أيضاً ، وهنا عليك أن تصابره ،  
وكلمة «اصبر» توضح أن دعاء منهج الحق سبحانه لا بد أن يتعرضوا  
لمتاعب<sup>(٣)</sup> ، وإلا ما كانت هناك ضرورة لأن يجيء ، فلو كان العالم  
مستقيماً الحركة ، فما ضرورة المنهج إذن ؟

(١) وقد كان الحق سبحانه يُعدّ نبيه ﷺ لهذا ، من نحر قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَلَّمْتُ رُؤُسًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُتِبُوا وَأَوْفُوا حَتَّىٰ أَتْلُفَنَّهُمْ نَحْنُ وَلَا مَبْدَلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام] .

(٢) اصبروا على الطاعات والمصائب ، واصبروا عن المصائب . وصابروا الكفار فلا يكونوا أشد صبراً  
منكم . ورابطوا أى : جامدوا وأقيسوا عليه واستمروا فيه . [تفسير الجلالين : ص ٦٤] . وصيغة «صابره»  
من «فَاعِلٌ» تدل على شدة الفعل والبالغة فيه ، أى : شدة الصبر والتحمل . والاستمرار عليه حتى  
الوصول للهدف .

ولكن المنهج قد جاء ؛ لأن الفساد قد عمَّ الكون ، ويحتاج إلى إصلاح ، وإلى مواجهة المفسدين ، وهذا ما يرهق الداعين إلى الله تعالى ، وليوطن كل دأبنة نفسه على ذلك ، ما دام قد قام ليدعو إلى منهج الحق سبحانه وتعالى .

وكل داع إلى الله لا يصيبه أذى ، فهذا يُنفص من حفظه في ميراث النبوة ؛ لأن الذي يأتي له الأذى هو الذي يأخذ حظاً من ميراث النبوة ، فالأذى لا يجيء إلا بمقدار خطورة الداعي إلى الله سبحانه على الفساد والمفسدين ، وهم الذين يتجمعون ضده .

ورسول الله ﷺ يقول : «نقَرُ<sup>(١)</sup> الله امرأ سمع مقالتي فوعاها<sup>(٢)</sup> وحفظها وبلغها ، فربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه»<sup>(٣)</sup> .

إذن : فنحن أمة محمد ﷺ قد ورثنا منه البلاغ ، وورثنا منه الأسوة الحسنة :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١)

[الأحزاب]

إذن : نقول الحق سبحانه وتعالى :

[يونس]

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ..﴾ (١٠٩)

هو دليل على أن الوحي بصدد الإنزال ؛ لأن الوحي لم ينزل بالقرآن

(١) التفارعة : إشراق الوجه ونوره .

(٢) وعاءها : حفظها ، فكان كالوعاء يصب ما يوضع فيه ، وإن لم يترك تفاصيل ما وعده .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٦٥٨) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٣٦ / ٧) من حديث عبد الله بن مسعود .



## سورة يونس

٥٦٦٩

دُفْعَةً واحدةً ، فقد كان الرّوحى يتزل على رسول الله ﷺ طوال حياته <sup>(١)</sup> .

وهكذا تكون حياة رسول الله ﷺ هى مقام الاستقبال للرّوحى .

ونول الحق سبحانه :

﴿وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ...﴾ (١٥٩) [يونس]

يوضح لنا أنه سبحانه قد وضع حداً تؤمل فيه أن الأمر لن يظل صبراً ، وأن القضية ستُحسم من قريب بحكم من الله تعالى .

وكلمة ﴿يَحْكُمُ﴾ توضح أن هناك فريقين : كلٌّ يدعى أنه على حق ، ثم يأتى مَنْ يفصل فى القضية ، والحجة إما الإقرار أو الشهود ، وبطبيعة الحال لن يُقرّ الكفار بكفرهم ، والشهود قد يكونون مُدولاً ، أو يكونون ممن يُدارون فسقهم فى ظاهر العدالة . فإذا كان الله سبحانه وتعالى هو الحاكم ، فهو لا يحتاج إلى شهود ؛ لأنه خير الشاهدين ، والله سبحانه لا يحكم قط دون قدرة إنفاذ الحكم ، لا يل هو يحكم وينفذ .

إذن : فهو سبحانه قد شهد وحكم ونفذ ، ولا توجد قوة تقف أمام قدرة الله تعالى ، أو تقف أمام حكم الله عز وجل .

ونحن فى زماننا نرى القُوى وهى تختلف ، فنجد القُوى من الدول وقد تسلّط على الضعيف ، فبلجاً الضعيف إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، ويصدر كل منهما قرارات ، وحتى لو افترضنا عدالة الحكم ، فإين قوة التنفيذ ؟ إنها غير موجودة .

(١) أى : كان يتزل مُتجماً على حسب الأحوال والوقائع . وهذا جعل القرآن بالنسبة لأصحاب رسول الله ﷺ غُفْلاً وطباً ، لأن يتزل بما يناسب حالهم . ومعلوم أن القرآن له تنزل آخر ، حيث نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا . راجع الإتيان فى علوم القرآن (١/١٦٦) .

ولكن قدرة الحق الأعلى سبحانه هي قدرة خير الحاكمين ، لأنه هو سبحانه الذي يشهد ، وهو سبحانه لا يحتاج إلى مَنْ يُدَلِّسَ عليه في الشهادة ؛ لأنك إن عميت على قضاء الأرض ، فلن تُعمى على قضاء السماء <sup>(١)</sup> .

وبعد ذلك يحكم الحق سبحانه حكماً لا هوى فيه ؛ لأن آفة الأحكام أن يدخلها الهوى فتميل ، والحق سبحانه لا هوى له ؛ لأنه لا مصلحة له عند العباد ، فهو الخالق عز وجل ، ولن يأخذ مصلحة من مخلوق <sup>(٢)</sup> .

ويطمئنا الحق سبحانه على أن رسوله ﷺ أيضاً لا ينطق عن الهوى .

فيقول رب العزة سبحانه :

﴿ وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ [النجم]

(١) من أم سلمة عن رسول الله ﷺ أنه سمع محصومة بباب حجرته ، فخرج إليهم فقال : إنا أنا بشر ، وإنه يأثني الخصم ، نلعل بعضكم أن يكون ألغى من بعض . فأحسب أنه صدق فأقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنا هي نعمة من النار ، فليأخذها لو لمتركها أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤٥٨) ومسلم (١٧١٣) .

(٢) يقول سبحانه : ﴿ لَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ بِشَيْءٍ وَلَا جِزَآءٍ وَكَانَ يَقُولُ الظُّلُمَ بَيْنَكُمْ .. (٣٧) ﴾ [الحج] . فإله تعالى هو الغنى عما سواه ، وقد كان أهل الجاهلية إذا ذبحوا الهدايا والضحايا لألهتهم وضعوا عليها من لحوم قريشهم ونضعوا عليها من دماها . فبين عز وجل أن ما يناله الله منهم هو التقوى وإخلاص القلب لله . (تفسير ابن كثير ٣ / ٢٢٤ بتصرف) .

(٣) الهوى : هوى النفس ، وإرادتها ومحبتها الشيء ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَفْسٌ عَنْ الْهَوَىٰ (٤) ﴾ [التازعات] أي : منعها عن المعاصي والشهوات ، وإذا تكلم بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً حتى بُعث بما يخرج به عن معناه ققوا لهم : هوى حسن ، أو هوى موانق للصواب . أما المراد به في الآية فهو الهوى المذموم . قال تعالى : ﴿ .. فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْبُدُوا (٣٦) ﴾ [النساء] . وقال تعالى : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ .. (٣٧) ﴾ [ص] . وقال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ .. (٤٣) ﴾ [الفرقان] وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَهْلُ مَعْنٍ أَرَبُّ هَوَاهُ يَفْرِى هَدًى مِّنَ اللَّهِ .. (٤٤) ﴾ [القصص] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ .. (٤٥) ﴾ [المائدة] . وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَفَرُوا لَيُضِلَّنَّ بِأَهْوَاهِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ .. (٤٦) ﴾ [الأنعام] . [لسان العرب : مادة ( هو ي ) - بتصرف] .

أى: اطمئنوا إلى حكمه ؛ لأنه لا ينطق عن هوى فليس فى نفسه ما يريد تحقيقه إلا دعوة الخلق إلى حُسن عبادة الخالق سبحانه .

وقد يقول قائل : ولكن الحق - عز وجل - عدلٌ للرسول بعضاً من الأحكام .

ونقول : لقد كان رسول الله ﷺ يجتهد بيشريته فيما لم يُنزل الله فيه حكماً ، وحين يُنزل الله حكماً ، فهو ﷺ ينزل على أمر الله تعالى ، ولم يكن رسول الله ﷺ يحكم حتى فينما اجتهد فيه عن هوى ، بل حكم بما رآه عدلاً ، وحين يُنزل الحق سبحانه وتعالى حكماً مغايراً فهو يبلغ المسلمين ويُعلِّمُ من الحكم .

إذن: فالتعديل للحكم هو قمة الأمانة مع البلاغ عن الله سبحانه وتعالى ، ورسول الله ﷺ قد أقبل على الحكم فى أمر لم ينزل فيه حكم من الله ، فهو قد حكم بما عنده من الرأى ، فيبلغ ﷺ الحكم من الله ، والذي عدل له ليس مساوياً له بل هو خالفه .

ثم إن الذى أخبرنا أن الله سبحانه قد عدل له هو النبى ﷺ ، فهل يوجد من يضعف مركز كلمته ، ويبلغ أن الحكم الذى صدر منه قد عدل له ؟

ولكن رسول الله ﷺ الذى استقبل الوحي تحلى بأمانة البلاغ عن الله ، وهو الذى نقل لنا عتاب ربه له <sup>(١)</sup> .

(١) عتابه ربه فى شأن عبد الله بن أم مكتوم الأصم الذى جاءه يسئ لتعلم منه ، فتلوه عنه رسول الله ﷺ بدعوة زعماء قريش للإيمان ، فنزلت سورة عبس : ﴿ عبس وتولى (١) أن جاءه الأعمى (٢) وما يذكرك الله يؤمِّن (٣) لو يذكرك فسفاهة الاكفر (٤) أما من امتنع (٥) فات له صدق (٦) وما عليك الا يؤمِّن (٧) ولما من جاءك ينص (٨) وهو يغشى (٩) فأتت منه تلوه (١٠) ﴾ [عبس] . وعبابه أيضاً بقوله تعالى : ﴿ ينصها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تضيي مرضات أزواجك والله غفور رحيم (١) ﴾ [التحريم] .

وهذه قمة الصلوق في البلاغ عن الله ، وكان اجتهاد رسول الله ﷺ محصوراً في الأمور التي لم يصدر فيها حكم من الله ، وكان في ذلك أسوة حسنة لنا لتتجرباً ونجتهد.

وقد بحث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن فقال : كيف تصنع إن عرض لك قضاء ؟ قال : أقضي بما في كتاب الله . قال : فإن لم يكن في كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله ﷺ . قال : فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ ؟ قال : أجتهد رأيي لا آلو<sup>(١)</sup> . قال : وضرب رسول الله ﷺ صدرى ثم قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup> .

والحق سبحانه وتعالى خير الحاكمين ؛ لأنه الشاهد الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور<sup>(٣)</sup> ، وهو سبحانه لا تخفى عليه خافية<sup>(٤)</sup> ، ولا هوى له ، وهو الذي يصدر الحكم بمطلق عدله وبفضله ، وهو القادر على إنفاذ ما يحكم به ، ولا توجد قوة تجبر عليه ، ولا يوجد حاكم يقدر

(١) لا آلو : لا أقصر في اجتهداي وبعثي المسألة . ومنه قولهم : فلان لا يألو خبراً . أي : لا بدعه ولا يزال يفعله . ويقول سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا بَاطِلًا مِنْ دِينِكُمْ وَلَا بِالَّذِينَ خَلَا<sup>(١)</sup> . [آل عمران] أي : لا بقصرون في غايتكم .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٣٠ / ٥) ، ٢٣٦ ، ٢٤٢ وأبو حنيفة في سننه (٣٥٩٢) والترمذي (١٢٢٧) وقال : ليس إسناده عتدى بمصطلح . لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٣) يقول رب العزة سبحانه : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر] . فإله عز وجل يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة ، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر . قال ابن عباس رضي الله عنهما : هو الرجل يدخل على أهل البيت بينهم ، وفيهم المرأة الحسنة ، أو عمر به وبهم المرأة الحسنة فإذا غفلوا لحظ إليها . فإذا غفلوا غص بصره عنها ، فإذا غفلوا لحظ ، فإذا غفلوا غص ، وقد أطلق الله من قلبه أنه ورد أن لو أطلع على فرجها . ذكره ابن كثير في تفسيره (٧٥ / ٤) .

(٤) يقول عز وجل : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَحْمِلُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَرْتَاذُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [عالم فقيب والشهادة الكبير المتعال] ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَمَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِالْقَوْلِ وَسَابِقٌ بِالْغَيْبِ ﴾ [الرعد] .

على كل هذا إلا الله سبحانه .

وشاء الحق - عز وجل - أن يكرم المؤمنين الذين يحكمون بين الناس بأن جعل ذاته ضمنية بتفريق الخيرية على الحاكمين .

وواقع الأمر أن هناك بشراً يحكمون غيرهم ، ولكن الحق سبحانه حكّم بأنه خيرهم ، فمن الحاكمين مَنْ قد يُدلس<sup>(١١)</sup> عليه غيره ، ومن الممكن أن يدخل الهوى في أحكام هؤلاء الحاكمين ، لكنه سبحانه لا تخفى عليه خافية ، ولا يمكن أن يدخل الهوى إلى حكمه ، وأحكامه نافذة بطلاقة قدرته سبحانه ؛ لذلك فهو خير الحاكمين إطلاقاً .

وإذا سمحت جمعاً يدخل الله ذاته مع خلقه فيه ؛ فاعلم أن ذلك إيدان بأن تأخذ من واقع ما تشهد حقيقة مَنْ لا تشهد ؛ فالحق سبحانه يقول :

﴿ قَبَّارُكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾ [المؤمنون]

ويقول تعالى :

﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١٥) ﴾ [الجمعة]

ويقول تعالى :

﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) ﴾ [الأنبياء]

ويقول تعالى :

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ (٨) ﴾ [النين]

وكلما وجدت جمعاً أدخل الله ذاته مع عباده من لهم هذا الوصف ، فهذا يدلك على أن الموصوفين معه لهم تلك الصفات المذكورة ، ولكنه

(١١) التدليس : الإخفاء وللخادعة بعدم تبين العيب في الشيء . ومن التدليس في الإسناد بأن يحدث المحدث عن شيخه الأكبر بما لم يسمعه منه ، بل سمعه عن هو دونه في المرتبة .

سبحانه وتعالى أزلّ مُطلق الصفات ، وهم أحداث<sup>(١)</sup> وأغيار تنتابهم القوة والتغير والضعف .

ونحمد الله سبحانه وتعالى وهو يصف نفسه بأنه :

﴿ .. أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (١٤) [المؤمنون]

وكلنا نعلم أن الله سبحانه هو خالق كل شيء من عدم ، ولكن هناك من الخلق مَنْ يخلق شيئاً من موجود ، ولذلك قاله سبحانه وتعالى هو أحسن الخالقين .

والحق سبحانه يصف نفسه بأنه :

﴿ .. خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (١١) [الجمعة]

والرزق هو ما به يتفنع ، وقد يأتي لك وليٌ أمرك بالمأكل والمشرب والملبس ، ويعطيك ما تتفنع به ، ولكن الحق سبحانه وتعالى هو الذى خلق الرزق فى الكون كله .

ويقول الحق سبحانه واصفاً نفسه :

﴿ رَمَكُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٥٤) [آل عمران]

والإنسان حين يمكر قد يُدْرى مسألة ، ويغفل عن ركن فيها ، لكن الله تعالى لا يغفل عن شيء .

إذن : فالخيرية فى الحكم لها نصيب من طلاقة قدرة الله تعالى ، ونحن عرفنا أن الرسول ﷺ حين حكم فى بعض الأحكام وعدلّها له الله سبحانه وتعالى ، لم يكن لله تعالى حكم قبل أن يحكم رسول الله ﷺ .

(١) الأحداث : جمع حادث ، وهو ما يكون مسبوقاً بالعدم ، ويسمى حدوثاً زمنياً ، وقد يُعبّر عن الحدوث بالحاجة إلى الغير ، ويسمى حدوثاً ذاتياً . (التعريفات للمرجاني - ص ٧٦) .

ومثال ذلك : قصة زيد بن حارثة <sup>(١)</sup> ، وكان مولى أو عبداً لحديجة بنت خويلد <sup>(٢)</sup> رضى الله عنها ، ووهبته لسيدها رسول الله ﷺ ، ثم علم أهله الذين كانوا يبحثون عنه أنه في مكة ، وكان قد خطف صغيراً من يبلده وبيع في مكة ، كمادة العرب في الجاهلية مع الرقيق <sup>(٣)</sup> ، فلما علموا بذلك ذهبوا إلى رسول الله ﷺ ليستردوا ابنهم ، فقال لهم رسول الله : « والله إنى لأخبره ، فإن اختاركم فخذوه ، وإن اختارنى فهو لى » . فاختار زيد أن يبقى مع رسول الله ﷺ .

ولم يكن رسول الله بعد ذلك ليفرط فيه ؟ فأعطاه ثمر الفبوة ، فأسماء زيد بن محمد <sup>(٤)</sup> .

(١) زيد بن حارثة بن شراحيل ، صحابى ، من أقدمهم إسلاماً ، كان ﷺ لا يبعثه فى سرية إلا أمره عليها ، وجعل له الإمارة فى مؤتة ، فاستشهد فيها عام ٨ هـ (الأعلام ٣/ ٥٧) .

(٢) مى : زوج رسول الله ﷺ تزوجها قبل البعثة بـ ١٥ عاماً ، وأول من صدقت به بعثته ﷺ ، كانت موصراً ، فاجتر رسول الله ﷺ بها ، وكانت خير معين له فى رسالته . توفيت سنة عشر من البعثة بعد خروج بنى هاشم من الشعب . راجع الإصابة فى تمييز الصحابة (٨/ ٦٠ - ٦٢) .

(٣) الرقيق : السيد ، وقد سُمى العبد رقيقاً لأنهم يرقون لما لكهم ويذلون ويخضعون . راجع اللسان مادة رقيقاً وقال الجرجاني فى التمرينات (ص ٩٩) : فالرق فى اللغة : الضعف . ومنه رقة القلب ، وفى عرف الفقهاء عبارة من عجز حكمى شرع فى الأصل جزاء عن الكفر . أما إنه حيز فأنه لا يملك ما يملكه الحر من الشهادة والقضاء وغيرهما ، وأما إنه حكمى فأن السيد قد يكون أقوى فى الأحكام من الحر حسناً .

(٤) وذلك أن حارثة بن شراحيل جاء هو وأخوه كعب عم زيد إلى رسول الله ﷺ بمكة ، وذلك قبل الإسلام ، فقالا له : يا بن عبد المطلب ، يا بن سيد قومه ، أقم جيران الله ، وتكون العائى (الأسير) ، وتطعمون الجائع ، وقد جئتكم فى ابنتا عبدك ، فتمسكن إلينا فى فدائه ، فقال : أو خير ذلك ؟ فقالا : وما هو ؟ فقال : أحمره وأخبره ، فإن اختاركما فذلك ، وإن اختارنى فوالله ما لنا باللى اختر على من اختارنى أحداً ، فقالا له : قد زدت على النصف ، قد حله رسول الله ﷺ ، فلما جاء قال : من هذا ؟ فقال : هذا أبى حارثة بن شراحيل ، وهذا صبي كعب بن شراحيل ، فقال : قد خيرتك إن شئت ذهبت معهما ، وإن شئت أقمتهما معى ، فقال : بل أقيم معك . فقال له أبوه : يا زيد ، ألتفتار اليهودية على أيتك وأهلك وبهلك وقومك ؟ فقال : إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ، وما أنا بالذى أفارقه أبداً ، فشد ذلك أحد رسول الله ﷺ بيده ، وقام به إلى اللام من قرش فقال : اشهدوا أن هذا أبى ولدتاً ومودوناً . فطابت نفس أبى عند ذلك ، وكان يدهى زيد بن محمد ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ (٥) . [الأحزاب] .

وهكذا رأى النبي ﷺ في التنبؤ وسيلة تكريم ، ولكن الله عز وجل يريد  
أمراً غير هذا ، فقال سبحانه وتعالى :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ  
اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ٤١ ﴾ [الأحزاب]

لأن الأبوّة بالتبني قد تحدث خلطاً في الأنساب ، فالابن بالتبني له حق  
الزواج من ابنة مَنْ تَبَّاه ، فكيف يمنع عنه هذا الحق ، والابن بالتبني قد  
تحرم عليه زوجة مَنْ تَبَّاه إن رحل عنها أو طلقها.

لذلك شاء الحق سبحانه وتعالى أن يحفظ للأنساب حقوقها  
ومسئولياتها ، فقال سبحانه :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ  
النَّبِيِّينَ ٤٢ ﴾ [الأحزاب]

ومهمة ﷺ كرَسُولٍ من الله بالنسبة لكم أفضل من الأبوّة لكم.

وقال الحق سبحانه في تعديل حكم التبني :

﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ <sup>(١)</sup> عِنْدَ اللَّهِ ٤٣ ﴾ [الأحزاب]

وهذا ردّ لحكم من رسول الله بتكريم لرسول الله ، فما صنعه محمد ﷺ  
عَدْلٌ وقَسْطٌ بعُرفِ البشر ، لكن حكم الله سبحانه وتعالى هو الأقسط  
والأعدل ، فيتهى بذلك نسب زيد من محمد ، ويعود إلى نسيبه الفعلي  
زيد بن حارثة .

(١) القسط : العدل والحق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ حُكِمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْقَاسِطِينَ  
(٤٣) ﴾ [البقرة] . أما القاسطون فهم الجائرُونَ ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ٥٦ ﴾ [الجن] .



وحتى لا يثر هذا الأمر في نفس زيد ، نجد الحق سبحانه وتعالى يكرمه تكريماً لم يُكرّم لصحابي غيره ، فهو الصحابي الوحيد الذي ذُكر اسمه بالشخص والعلم في القرآن ، فقال الحق سبحانه :

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا <sup>(١)</sup> ذُوجًا كَهَا .. (٦٧) ﴾ [الأحزاب]

وصار اسم «زيد» كلمة في القرآن تُتلى ويُجهر بها في الصلاة ، فإذا كان قد نفى عنه النسب إلى محمد ﷺ فقد أعطاء ذكراً ثانياً خالداً في القرآن المحفوظ ، ومنحه بذلك شرفاً كبيراً .

وقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٦٨) ﴾ [يونس]

يفيد أن حكم الله تعالى أعم من أن يكون حكماً في الدنيا أو الآخرة فقط ، فحكم الله سبحانه في الدنيا نصراً لدين الله ، ومن مات من المؤمنين أو الكفار لهم حكم آخر .

وختم الله تعالى سورة يونس بهذا الحكم ، وأهدى الله سبحانه كل مؤمن بيونس - كني من أنبياء الله تعالى - قضية عندما ذهب مغاضباً ، قال فيه الحق سبحانه :

﴿ وَذَا النُّونِ <sup>(٢)</sup> إِذْ ذُهِبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نُّعَذِّبَ عَلَيْهِ قِتَادًا فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٦٩) ﴾ [الأنبياء]

وأهداه الحق سبحانه وساماً بقوله :

(١) الوطر : نال اليث : الوطر كل حاجة كان لصاحبها فيها همّة ، فهي وطره . وجمع الوطر : أوطار . وقال الزجاج : الوطر والأرب في اللفظة بمعنى واحد . وقال الخليل بن أحمد : الوطر كل حاجة يكون لك فيها همّة ، فإذا بلغها للبالغ قيل : قضى وطره وأربه . [لسان العرب : مادة (وطر)] .  
(٢) النون : الحوت . وذا النون : لقب يونس بن متى عليه السلام . أي : صاحب الحوت ، وهو المحترق الذي ابتلع يونس عليه السلام بعد إلقائه في البحر .

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۖ ۝٨٨﴾ [الأنبياء]

وأشركنا الحق سبحانه وتعالى في هذا الوسام بقوله تعالى :

﴿ . . وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾ [الأنبياء]

وهكذا أسدى<sup>(١)</sup> إلينا سيدنا يوسف جميلاً كبيراً ، حين هداه الله إلى قوله :

﴿ . . لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝٨٧﴾ [الأنبياء]

واستجاب الله تعالى لدعائه ، وأنجاه من الغم ، وهو أعنف جنود الله ؛ لأن الشيء الذي يضايقك هو الذي لا تستطيع له دفْعاً .

ولذلك يقال : إن العدو كلما لُطِفَ<sup>(٢)</sup> عُنِفَ ؛ لأن العدو إن كان ضخماً الحجم ، تكون الوقاية منه أسهل من العدو الصغير سريع الحركة ، فإن كان العدو ضخماً ، فالإنسان يرى ضخامته من على البعد ، فيجري منه الإنسان أو يختبئ ، لكن إن كان العدو ثعباناً رقيقاً - مثلاً - فقد لا يراه الإنسان ، وقد لا يستطيع الفرار منه ، وإن كان ميكروباً أو فيروساً لا يرى بالعين المجردة ؛ فهو أعنف قدرة وقوة في مهاجمة الإنسان .

إذن : كل مُتَعَب في الدنيا من الممكن أن تحتاط منه إلا ما يتلصص عليك بدقّة ولُطْف ؛ فإنك لا تعرف مدخله .

ونحن نسمع أن فلاناً قد أصيب بمرض ما ، لأنه أخذ عدوى من فيروس ما ، هذا الإنسان لا يعرف متى اخترق الفيروس جسده ، لكنه فوجيء

(١) ضم الشيء يضمه غماً : أخفاً وغطاه وستره .

وغمّه الأمر : أحزنه .

قال تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۖ ۝٨٨﴾ [الأنبياء]

والنمّة : التباس الأمر وعدم وضوحه ، قال تعالى : ﴿ قُمْ لَا يَكُنْ أَمْرًا مِّنْ هَلِكُمْ غَمَةً ۖ ۝٨٨﴾ [يونس]

[القاموس الفوم - ٢ / ص ٦٠ ، ٦١ بتصرف]

(٢) أسدى : أعطى ، راعى . [لسان العرب : مادة (س دى)] .

(٣) لطف الشيء يلطف : صَغُرَ . [لسان العرب : مادة (ل ط ف)] .

بأعراض المرض تظهر عليه بعد كمون<sup>(١)</sup> الفيروس في جسده لأسبوعين ،  
وهكذا نجد أن العدو كلما أُلْفَ عُنْفًا .

والغمُّ من أشد وأفسى أنواع البلاء ، وكلنا نعرف قصة الإمام علي -  
كرم الله وجهه - وهو المشهور بالفتيا<sup>(٢)</sup> ، وكان الناس يستفتونه فيما  
يمجزون عن العثور على حل له ، واجتمع بعض من الناس وقالوا: نريد  
أن نجتمع بعض الأشياء الصعبة ونسأله عنها لنخبره . فلما اجتمعوا قالوا  
لعلي كرم الله وجهه: نريد أن نستعرض كون الله تعالى ، فقد جلسنا معاً  
لنعرف أقوى ما خلق الله ، واختلفنا فقال كل واحد اسم القوة على حسب  
ما يراها .

لم يترؤ على بن أبي طالب ، ولم يقل كلاماً مسروداً<sup>(٣)</sup> بحيث إن  
وقف ، لا يطالبه أحد بزيادة ، بل حدد من الجملة الأولى عدد القوى  
حسب ترتيبها وقونها ، حتى تطابق العدد على المحدود ، وهذا دليل على  
أنه مستحضر للقضية استحضار الوائق . وفرد أصابع يديه وقال :

أشدُّ جنود الله عشرة: الجبال الرواسي ، والحديد يقطع الجبال ، والنار  
تذيب الحديد ، والماء يطفىء النار ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض  
(١) الكمون: الاختفاء والاستتار . ومنه : الكمين في الحرب . وحزن مكتمن في القلب : مخف .  
[اللسان : مادة كمن] .

(٢) الفتيا: تبين المشكل من الأحكام ، أصله من الفتى ، وهو الشاب الحدث (الحديث السن) الذي شب  
وقوى ، فكانه يقوى ما أشكل ببيانته فيشب ويصير لتياً قوياً . وأفتى المفتي إذا أحدث حكماً . وأثناء في  
الأمر : أبانه له . وأفتى الرجل في المسألة . واستفتيته فيها فأفتاني إفتاء . قال تعالى : ﴿ فَاسْتَجِبْ لَهُمْ أَنفَعُ  
لَهُمْ ﴾ [الصافات] وقال تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفَعِّلُكُمْ ﴾ [النساء] : أي : يسألونك .  
وقال تعالى : ﴿ قُلِ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتُونَ ﴾ [يوسف] ، وقال تعالى عن بلقيس ملكة سبا :  
﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَقْوَمِي بِي لَعْنَى ﴾ [النمل] . [لسان العرب : مادة (ف ت ي)] - بتصرف .

(٣) الكلام للسرود : الكلام المتتابع ، بعضه إثر بعض ، بحيث لا يدرك السامع أوله من آخره ، فلا يستطيع  
أن يستترك شيئاً على المتكلم ، أو يحفظ منه شيئاً .

يحمل الماء ، والرياح تقطع السحاب ، وابن آدم يغلب الريح ، يستشعر بالثوب أو الشيء وينضى لحاجته ، والسكر يغلب ابن آدم ، والنوم يغلب السكر ، واللهم يغلب النوم ، فأشد جنود الله - سبحانه - اللهم .

هكذا قال سيدنا علي بن أبي طالب ، فالهم والغم من أشد جنود الله تعالى ، وكان سيدنا يونس عليه السلام سبياً في أن قدم الله سبحانه لكل مؤمن به إلهي أنه تقوم الساعة فتجى من الهم والغم بالدعاء الذي ألهمه ليونس عليه السلام في قوله تعالى :

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ [الأنبياء]

وهكذا تعددت «النجاة من الغم» من الخصوصية إلى العمومية ، وقد أخذها جعفر الصادق - رضى الله عنه - وجعل منها «تذكرة طيبة» للمؤمن حتى يستقبل أحداث الحياة كلها ، في كل جوانبها المفزعة ؛ لأن الإنسان يهدده الخوف مما يعلم .

أما الهم فلا يعرف الإنسان فيه سبب الخطر ، ولا يعلم الإنسان مكر الناس به ؛ لأن الإنسان لا يعلم ماذا يبتوا له .

وشغل الإنسان بأمر الدنيا وأن يكون منعماً ومرقهاً في كل أمور الحياة ، يجعله عرضة للهموم .

وكان سيدنا جعفر الصادق <sup>(١)</sup> له بصر وبصيرة بآيات القرآن ومتعلقاتها ، فقال : «عجبت لمن خاف ولم يفرع إلى قول الحق سبحانه :

﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣) [آل عمران]

(١) هو : جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، أبو عبد الله ، كان مشغولاً بالعبادة عن حب الرياسة ، روى عنه شعبة والثوري ومالك . توفي بالمدينة عام ١٤٨ هـ .

## سُورَةُ الْوَكِيلِ

٥٦٢٨١

ولا يتعجب لمن يخضع شيء إلا إذا كان عند المتعجب شيء يزيل الخوف .  
فمن عنده صدى يصكنه أن يعالجه بالأسبرين ، أما الخوف فقد وصف  
سيدنا جعفر دواءه ، بقول الله سبحانه :

﴿...حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٧)

[آل عمران]

فذلك هو الدرع من كل خوف .

ويقدم جعفر الصادق لنا السبب في قوله : لأن الله سبحانه قال عقبها :

﴿فَاتَّخَذُوا "بِعِنةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضَّلُوا مَن يُمَسِّهِمْ سُوءَ"﴾ (١٧٨)

[آل عمران]

أى : أن سيدنا جعفرًا هداه بالحيشية من نفس القرآن ، وأضاف جعفر  
الصادق : «عجبت لمن اتهم» - وهو الموضوع الذي نبهته الآن - ولم يفرغ  
إلى قول الله سبحانه :

﴿...لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧)

[الأنبياء]

فإنى سمعت الله تعالى بعقبها يقول :

﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّضُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨)

[الأنبياء]

وعجبت لمن مكر به كيف لا يفرغ إلى قول الله سبحانه :

﴿...وَأَقْرَضَ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٩٤)

[غافر]

لأنى سمعت الله تعالى بعقبها يقول :

(١) اتَّخَذُوا : رجعوا . أى : أنهم لما تركوا على الله كفاهم ما آمنهم ورد عنهم بأس من أرادوا كيدهم ، فرجعوا إلى بلدهم بِنعمة من الله وفضل لم يحسبهم سوء ما أضمر لهم عيودهم . (ابن كثير ٢ / ٤٣١) .

﴿وَقَالَ اللَّهُ سَبَّاتِ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ<sup>(١)</sup> بِالْأَفْرَعُونَ مُوءُ الْعَذَابِ (٤٥)﴾  
[غافر]

وعجبت لمن طلب الدنيا وزيتها كيف لا يفرج إلى قول الله سبحانه :

﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .. (٢٩)﴾ [الكهف]

لأنى سمعت الله تعالى يعقبا يقول :

﴿نَعْسَى رَبِّى أَنْ يُؤْتِنِى خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ  
فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠)﴾ [الكهف]

وهكذا وجد جعفر الصادق رضى الله عنه فى كتاب الله أربع آيات لأربع  
حالات نفسية تصيب البشر ، وجاء مع كل حالة دليلها من القرآن الكريم .

وقول الحق سبحانه وتعالى فى آخر سورة يونس :

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحِى إِلَيْكَ .. (١٠٩)﴾ [يونس]

مناسب لقوله سبحانه فى الآية الأولى من السورة التى تليها :

﴿الَّذِى كَتَبَ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)﴾ [مرد]

لأن الوحي كتاب أحكمت آياته حقاً وصدقاً .

(١) وقاه الله وقياً ورقية وواقية : صانه . ووقيت الشيء إذا صنته وسترته عن الأدنى . ووقاه ما يكره : حماه منه . وقال تعالى : ﴿فَرَقَاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ .. (٥٥)﴾ [الإنسان] وقال تعالى : ﴿وَمَنْ تَوَلَّى سَفْهَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْنَاهُ (٣٣)﴾ [غافر] [لسان العرب : مادة (وقى) ] .

(٢) حاق : أحاط . والمحرق : الإحاطة بالشيء . والإطار للحيط به المستدير حوله . قال الليث : الحقيق ما حاق بالإنسان من مكر أو سوء عمل يحمله ، فينزل ذلك به . وقيل : الحقيق فى اللغة هو أن يشتغل على الإنسان عناية مكره . وقيل : الزجاج : حاق بهم العذاب أى : أحاط بهم جزاء ما كانوا يستهزئون . كما تقول : أحاط بفلان عمله وأهلكه كسبه ، أى : أهلكه جزاء كسبه . قال تعالى : ﴿فَلْيَرْجِعُوا بَعْدَ غَدَتْهُمْ إِلَى الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٢)﴾ [غافر] . وقال تعالى : ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَمْلِهِ .. (٥٥)﴾ [فاطر] . [لسان العرب : مادة (ح وقى) ] .

سُورَةُ هُودٍ